

الفصل السادس

مؤرخو القرن الثالث

{ الطبرى }

القرن الثالث فى الإسلام من أغنى الحقب بالأدب العربى . فحيثما قلبنا النظر وجدنا كتباً قيمة تألف : كتباً ، صارت بعدُ موضوعاً للشرح ، أو التقليد ، أو الاختصار ، أو النظر إليها باعتبارها الأثر التقليدى الباقى ، وندىن لمحمد بن جرير أبى جعفر الطبرى بائنين من أهم الكتب : تفسيره الكبير للقرآن ، الذى يضم جميع ما احتفظت به الأحاديث خاصة بمحتويات الكتاب المقدس ، وتاريخ الرسل والملوك ، أو التاريخ العام ، الذى وصل به إلى عام ٢٩٨ هـ . وترجمة ياقوت له من أطول التراجم فى كتابه ، تشغل أربعين صفحة . وتبدئى بإبانة العلوم الأربعة التى اشتهر الطبرى فيها - الحديث ، والفقه ، وقراءة القرآن ، والتاريخ . ومات يوم السبت لأربع بقين من شوال سنة عشر وثلاث مئة ، ودفن يوم الأحد بالغداة فى دار برحبة يعقوب ببغداد . وعلى الرغم من أنه لم يستعمل الحناء ليخفى شيبه ، كان السواد فى شعر رأسه ولحيته كثيراً ، إلى الخامسة والثمانين من عمره : إذ ولد فى ٢٢٥ هـ . ولكن بعض العلماء يقول إنه دفن ليلاً ، خوفاً من العامة ، لأنه كان يتهم بالتشيع - شأن كثير من المؤرخين المشهورين . وأنكر ذلك الخطيب ، مؤلف تاريخ بغداد الكبير : وقال : اجتمع على جنازته من لا يحصى عددهم إلا الله ، وصلى على قبره عدة شهور ، ليلاً ونهاراً ، وراثه خلق كثير من أهل الدين والأدب .

وسنقول فورا شيئا عن دراساته : ويذكر بين تلاميذه أحمد بن كامل، الذي تابع مسكويه دراسته التاريخية معه . وقد مكث أربعين سنة ، يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة . ويروي راوى ياقوت أن الطبرى قال لاصحابه : أنتشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ قال : ثلاثون ألف ورقة . فقالوا : هذا مما يفنى الاعمار قبل تمامه . فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ، أى العُشر . ثم قال : تنشطون للتاريخ العام من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا : كم قدره ؟ فذكر نحو ما ذكره في التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال : إنا لله ، ماتت المهمم . فاختصره في نحو مما اختصر التفسير . ونستطيع ان نتصور الوقت الذى يستغرقه المرء في نسخ كتاب من أمثال هذين الكتابين من الخبر الذى ادعى فيه صاحبه أنه كتب التفسير كله عن الطبرى إملاء : فاستغرق ذلك منه ثمانى سنوات ، من ٢٨٣ إلى ٢٩٠ هـ . ويجبرنا أنه فرغ من تصنيف كتاب التاريخ ، ومن عرضه عليه ، في يوم الاربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر ، سنة ثلاث وثلاثمئة ، وقطعه على آخر سنة اثنتين وثلاثمئة .

ويعدد الراوية التالى المذكور مجموعة متنوعة من الكتب الأخرى للطبرى، أحدها في القراءات ، كتاب جليل في ثمانى عشرة مجلدة إلا أنه كان بخطوط كبار، واختار قراءة ، وإن لم يقرأ عليه إلا آحاد من الناس ، ولم يعرف من قرائنها غير ثلاثة .

يلى ذلك قصة تتضوع منها رائحة المعجزات . جمعت الرحلة بين محمد بن جرير الطبرى ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ، ومحمد بن نصر المروزى ، ومحمد بن هارون الرويانى ، بمصر . فأرملوا وافترقوا ولم يبق عندهم ما يمؤنهم ، وأضر بهم الحال . فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه ، واتفقوا على أن يستهموا ، فمن

خرجت عليه القرعة سأل الناس لأصحابه الطعام . فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة ، فقال لأصحابه : أمهلوني حتى أتوضأ وأصلى صلاة الخيرة . فاندفع بالصلاة فإذا هم بالشموع وخصى من قبل والى مصر يدق عليهم . فأجابوه وفتحوا له الباب فقال : أيكم محمد بن نصر ؟ فقيل : هذا . وأشاروا إليه . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا ودفعتها إليه ، وقال : أيكم محمد بن جرير ؟ فأشاروا إليه . فدفعت إليه خمسين دينارا ، ثم قال : أيكم محمد بن هارون ؟ فقيل : هذا . فدفعت إليه مثلها ، ثم قال : وأيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة ؟ فقيل : هو ذا يصلى . فلما فرغ من صلاته دفع إليه صرة فيها خمسون دينارا . ثم قال : إن الأمير كان قائلا ، فرأى في النوم خيالا أو طيفا يقول له : إن الخامد طورا كشحهم . فبعث بهذه الصرر، وهو يقسم عليكم إذا نفذت أن تبعثوا إليه ليزيدكم .

يلي ذلك بعض أخبار رواها ابن كامل ، الذى كان تلميذ الطبرى كما رأينا . جاء إلى المؤرخ ، ومعه ابنه الصغير ، فى التاسعة من عمره ، فوجد تحت مصلاه كتاب فردوس الحكمة لعلى بن ربن الطبرى، وهو فى الطب : فمد الزائر يده لينظره ، ففضل الطبرى ألا يفعل، ودفعه إلى الجارية . وقال : لم لم تُسمعه منى شيئا ؟ قال : كرهنا صغره وقلة أدبه . فقال له : حفظت القرآن ولى سبع سنين ، وصليت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين ، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين ، ورأى لى أبى فى النوم أنسى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معى مخللة مملوءة حجارة ، وأنا أرمى بين يديه . فقال له المعبر : إنه إن كبر نصح فى دينه، وذبح عن شريعته ، فحرص أبى على معونتى على طلب العلم ، وأنا حينئذ صبى صغير .

وأول ما بدأ دراساته فى آمل من طبرستان حيث وُلد ، ثم بالرى . وكان من أساتذته محمد بن حميد الرازى . « فيخرج إلينا فى الليل مرات ، ويسألنا عما

كتبناه، ويقرؤه علينا» - ليتأكد من صحته . « وكنا نتمضي إلى أحمد بن حماد الدولابي ، وكان في قرية من قرى الرى بينها وبين الرى قطعة ، ثم نعدو كاجانين حتى نصر إلى ابن حميد فتلحق مجلسه » : فكتب عن ابن حميد فوق مئة ألف حديث ، ومنها ما كان في كتاب محمد بن إسحاق، وعليه بنى تاريخه . ثم دخل الطبرى بغداد ، وكان في نفسه أن يسمع من أحمد بن حنبل، فلم يتفق ذلك لموته قبيل دخوله إليها . ولكن الطبرى أقام بالعاصمة بعض الوقت ، وكتب عن شيوخها، ثم انحدر إلى البصرة، مقيما في واسط بعض الوقت راميا إلى حضور مجالس علمها .

ثم صار إلى الكوفة ، فكتب فيها عن أبي كريب محمد بن العلاء الهمداني ، أحد الشيوخ . وعندما رغب الطلبة في حضور مجلسه ، اطلع أبو كريب من كوة في حائط منزله ، وقال : أيكم يحفظ ما كتب عنى ؟ فالتفت بعضهم إلى بعض ، ثم نظروا إلى الطبرى ، وقالوا : أنت تحفظ ما كتبت عنه ؟ قال : نعم . واستطاع أن يجتاز امتحان الشيخ الصارم ، وسمع منه أكثر من مئة ألف حديث أخرى . ثم عاد إلى بغداد ، وتفقه بها ، وأخذ في علوم القرآن: ثم غرب ، وكتب في طريقه من المشايخ بأجناد الشام ، ثم صار إلى القسطنطينية في سنة ثلاث وخمسين ومنتين . وكان أكرم العلماء بالقسطنطينية على بن سراج ، الذى وجد الطبرى فاضلا بارعا لا في العلوم الدينية وحدها ، بل في الشعر أيضا . واستطاع أن ينشد ديوان الطرماح ، وكان من يقوم به مفقودا في البلد، وأن يمليه بغريبه . وبرز في القسطنطينية مؤسسا لمذهب من مذاهب الفقهاء ، وكان ابتداء على مذهب الشافعى: ولقى بعض الأتباع ، شأن غيره من الفقهاء ، إذ لم تعتبر المذاهب الأربعة المذاهب الصحيحة وينفى غيرها إلا في أواخر القرن الرابع .

ويدون ابن كامل قصة سمعها من الطبرى ، متعلقة بتجاربه عند وصوله إلى الفسطاط، وتبين اختلاف اللهجات بين الاقطار التي تتكلم العربية . فقد حصل له بعض من اتخذهم من أصدقاء على دار ، وذكروا له مجموعة من الاشياء التي هو محتاج إليها : فكانت جميع الالفاظ التي استعملوها غير مألوفة منه بمعانيها المصرية . أخبر أنه محتاج إلى حمارين : فقال : وأما الحماران فان أبى وهب لى بضاعة أنا استعين بها فى طلب العلم : فان صرفتها فى ثمن حمارين ، فبأى شىء أطلب العلم ؟ ولكن الحماران كانا أربع خشبات قد شدوا وسطها بشريط ، لينام عليها من البراغيث ، وكذلك كانت الاشياء الاخرى تعادل الحمارين رخصا وعدم قدرة على الاستغناء عنها .

وتبين قصة أخرى تروى عن مسلكه فى الفسطاط بعض الافتقار إلى الصراحة. فقد كان محاطا برجال من جميع الأنواع ، يمتحنونه فى الفروع المختلفة من المعرفة التي اشتهر بها . فجاءه يوما رجل فسأله عن شىء من العروض. ولم يكن الطبرى نشط له قبل ذلك ، ولكنه كره أن يعلن جهله به . فطلب إلى السائل أن يمهله يوما ، وفى الوقت نفسه اقترض مقالة الخليل بن أحمد ، مبتكر هذا العلم . وعندما كرر السائل زيارته ، كان الطبرى قد صار « عروضيا » .

ويسبب خبر مروى عرضا فى حياة رجل آخر أن الطبرى لم يكن دائما كفؤا للشهرة التي حظى بها من حيث أنه يحفظ ذخائر كثيرة من العلم . ذلك الرجل هو القاضى أبو جعفر التوخى المعروف بابن بملول ، والمتوفى عام ٣١٨ هـ ، وكان أحد القضاة الذين رجع إليهم بشأن زندقة الحلاج . فقد قابل الطبرى فى جنازة فى بغداد ، دون أن يعرفه : فاشتبكا فى حوار وكشفا كلاهما عن معرفة كبيرة بالأدب. وعندما عرف القاضى اسم محدثه ، الذى كان مشهورا - لا بالكتابة ،

فيما يبدو ، بل بقوة الحفظ والاتساع في صنوف العلم - أسف أن لم تأخذ المذاكرة مجرى آخر : وبعد مدة تقابلا في مناسبة أخرى ، فانتهاز القاضى الفرصة لاختبار الطبرى . فكلما ذكر قصيدة ، وطلب إلى المؤرخ أن ينشدها كاملة : حذف منها أبياتا كثيرة وتلثم كثيرا : ولكن ابن بملول استطاع في كل مرة أن يملأ الثغرات ، فبان للحاضرين تقصير الطبرى، وسر ابن بملول للنتيجة .

وعاد من الفسطاط إلى بغداد ، ومنها إلى موطنه طبرستان ، التى زارها ثانية عام ٢٩٠ هـ . وعند عودته إلى بغداد بعد أولى هاتين الزيارتين اشتبك في نزاع مع الحنابلة ، بسبب كلمة بدرت منه في حق إمامهم اعتبروها إهانة له . فرمى بالخابر ، وحُصبت داره بالحجارة ، حتى صار على بابهِ كالتل العظيم ، ثم رفعها الجند ، الذين كان على رأسهم نازوك ، الذى نعرفه من مسكويه . وعمل كتابا في الاعتذار إليهم ، مدح فيه أحمد بن حنبل ، ولم يخرج كتابه الذى ناقش فيه آراء ذلك الرجل حتى مات . وليس من الواضح ، كما رأينا ، أنه نجح في مهادنة الحنابلة ، الذين كانوا عنصر فزع في بغداد .

وكانت براعته في النحو كافية لتكسب له إطراء ثعلب ، الذى كان الطبرى قد حضر مجالسه قبل أن يشتهر ، وعرف عن ثعلب أنه كان قليل الشهادة لاحد بالحذق في علمه .

ويروى من مميزات الطبرى أنه كان يكره تفضيل أحد تلاميذه على سائرهم: فلو لم يستطع طالب الحضور ذات يوم ، أجل الطبرى مجلسه إلى أن يستطيع الحضور .

ويبدو أن الطبرى اشترى الكتب أيضا ، بالإضافة إلى رحلاته في كثير من الاقطار لتحصيل العلم رواية . يروى وراق أن الطبرى التمس منه ، إذ عزم على تأليف رسالة في القياس ، أن يجمع له ما أمكنه من الكتب فيه . فجمع له الوراق نيفا وثلاثين كتابا . فأقامت عنده مديدة ، ثم ردها وفيها علامات بجمرة .

ويخصص ياقوت بعض الصفحات لآراء الطبرى الدينية ، وكان شديدا متمسكا بالسنن ، وإن لم يكن من اليسر التوفيق بين بعضها وآراء السنة المتأخرين من بعض الوجوه . وكفر الخوارج والروافض ، أى من لا يستطيع قبول أدلتهم . وتمسك بأن لا وراثة بين أفراد المذاهب المختلفة في الدين الواحد ، سواء أكانوا مسلمين ، أم يهودا ، أم مسيحيين . وعند وفاته غفر لكل من عاداه ، إلا رجلا سماه بدعة - وكان يعتبرها إهانة لا تغتفر . وتشدد في تمسكه بصحة الحديث الذى تبني عليه الشيعة حق على في الخلافة ، ولكنه كان شديد الإعجاب أيضا بالخلفاء الثلاثة الأولين . وقد اضطر إلى مغادرة طبرستان بعد زيارته الاخيرة ، لأن الرفض ظهر بها ، وخاف أن يجرى عليه ما يكرهه بسبب آرائه . وقد وجه سلطان البلدة إليه من يأتى به ، ولكن صديقا أخبره في الوقت المناسب فهرب : ولكن الصديق حصل في أيديهم وجُلد .

ويقال إنه كان ذا كبرياء تمنعه من أخذ هدية لا يمكنه المكافأة عليها . ووجه إليه أبو الهيجاء بن حمدان ، الذى اضطلع بدور من أدوار البطولة عندما خلع المقتدر وأقيم القاهر مقامه ، ثلاثة آلاف دينار : فردها بدعوى أنه لا يقدر على المكافأة عنها . وفي مناسبة أخرى عندما وجه إليه الوزير هدية من المال ، وسأله إن لم يقبلها أن يفرقها في أصحابه ممن يستحق ، امتنع الطبرى من قبول الدراهم قائلا :

هو أعرف بالناس إذا أراد ذلك . ومن جهة أخرى بعث هو نفسه هدايا إلى الوزير عندما قدم الحاج ، وجليوا معهم مال ضيعته في طبرستان .

وكانت الكتب التي يفضلها المؤرخ ويجهده بأصحابه أن يأخذوها ، لا التفسير ولا التاريخ ، وإنما كتبه الفقهية : « الاختلاف » ، وهو أول ما صنف ، وكان في نحو ثلاثة آلاف ورقة ؛ و « تهذيب الآثار » ، في الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخبار ؛ ومقالة فقهية تسمى « البسيط » . وعند وفاته كان مشغلا بمقالة كبيرة في الادب، شبيهة في خطتها بإحياء العلوم الذي أخرجه الغزالي من بعد .

ويصف ابن كامل ، الذي كان تلميذ الطبري ، كما قد رأينا، مظهره الشخصي وعاداته ، وكان شديد العناية بنظافته : ويحبرنا أيضا كيف قسم الطبري يومه : فكان يكتب من الظهر إلى العصر، كان يجلس للناس يقرئ ويُقرأ عليه إلى المغرب . ثم يجلس للفقه والدرس بين يديه إلى عشاء الآخرة . ثم يدخل منزله . كذلك يوجد جانب أخف من شخصيته ، وتروى بعض الأخبار التي تمثل فصاحته وفكاهته .

وقد اشتبك في خصومة قوية مع رجل ، هو داود بن علي الاصفهاني ، مؤسس المذهب الظاهري : خصومة اتسمت مرارا بالخشونة . وجدير بالملاحظة أن مذهب هذا الرجل قُدِّر له أن ينال من الانتشار ما لم تنله آراء الطبري البتة .

ولعل حكم الاجيال التي تلت على آثاره كان مفضلا لتفسيره وتاريخه ، ويبدو أنهما كليهما صورة أمينة للمادة التي جمعها في رحلاته . وواضح أن ملكاته

الادبية حرمته بعض خصائص المؤرخين : ولذلك كان حين اضطر إلى تناول شئون عصره ، معيبا ، ولم يعط صورة واضحة عن تطور الاحداث ، وحذف تفاصيل مهمة ، ولذلك ظهر القديرون من وزراء عهده وخلفائه في صورة الظلال المعتمة . ونفعه أكثر جدا عندما يكون أمامه مادة هيأها له السابقون . وإنا لنشك فيما إذا كان قادرا حقا على تأليف تاريخ يبلغ عشرة أضعاف تاريخه الموجود ، فاحتمل إذن أن من الواجب علينا رفض تلك القصة واعتبارها خرافة لا أساس لها .

وإذ كان الغربيون يهتمون أشد الاهتمام بالتوسع الإسلامى عن طريق الفتوح ، فإن تلك النقطة ليست بارزة عند الطبرى للأسف . والمؤرخ الذى يتخذ من الحروب الاجنبية موضوعا له ، مضطر إلى معرفة بعض الامور عن الجانب الآخر : حالة الأمة ، وأسماء قوادها وسياسيها وأعمالهم وما شابه ذلك . ويجب ألا يكون القيام بمثل هذا البحث خارجا عن نطاق الطبرى ، الذى ربما كان عاونه كثيرا على فهم التقدم الإسلامى فى فرنسا وتوقفه بانتصار شارل مارتل . ويظهر فى أواخر القرن الرابع مؤلف عانى كثيرا فى مثل هذا البحث ، وهو أبو الريحان البيرونى ، ولكنه مؤلف وحيد . ولا شك أن الشيوخ الذين أخذ الطبرى عنهم ، والكتب التى حصل عليها ، كانت أكثر عناية بالامور الداخلية منها بالشئون الاجنبية .

كان عمل عظماء المحدثين المعاصرين للطبرى يقوم على اختيار الصحيح من الاحاديث الكثيرة الشائعة حينئذ . وقد اختلفت « شروطهم » ، ولكنهم أجمعوا على تصديق عدد متوسط منها ، والرجوع إليه فى التشريع . ولعلنا نذهب إلى أن الطبرى قام فى التاريخ بعمل مشابه لما قام به البخارى ومسلم فى الحديث : اختيار المادة التاريخية الصحيحة من مجموعة المادة التى تقدمها كتب المدائنى وغيره : وأتبع ذلك عملا شاقا وخطرا إلى حد ما ، هو الاستمرار بالتدوين إلى عصره .

وعلى الرغم من ضخامة تاريخ الطبرى نجد أنه نقله بعد موته الرواة ، كأنما هو رواية شفوية . فقد نقله إلى مسكويه ابن كامل : وروى من يسمى أحمد بن عبد الله الفرغانى ٣٢٧ - ٣٩٨ هـ ، وكان أبوه صديقا للطبرى ، التاريخ والتفسير ، عن أبيه . وألف الأخير تاريخا خاصا به ، أكمله هذا الابن .

{ أبو حنيفة الدينورى }

واشتهر معاصر للطبرى فى التاريخ وعلوم أخرى أيضا . وهو أحمد بن داود أبو حنيفة الدينورى . ويوجد بعض الشك فى تاريخ وفاته ، إذ تختلف الروايات بين عامى ٢٨٢ و ٢٩٠ هـ . وأشهر كتاب له فى النبات : ولكنه اشتهر بالبلاغة أيضا ، وتروى مناقشة وقعت فى مجلس أبى سعيد السيرافى النحوى بصدد تفضيل بلاغة أبى حنيفة والجاحظ البصرى العظيم . وحاول أبو سعيد أن يختم النقاش ، بأن جعل أبا حنيفة أدخل فى أساليب العرب ، والجاحظ ذا معان لاصقة بالنفس . وأعلن أبو حيان التوحيدى ، راوى هذه المناقشة ، أنه يضع ثلاثة من الكتاب فوق جميع من كتب : هم الجاحظ البصرى ، وأبو زيد البلخى ، وأبو حنيفة الدينورى . ويقول عن الأخير : « جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له فى كل فن ساق وقدم ، ورواء وحكم ؛ وهذا كلامه فى الأنواء ، يدل على حظ وافر من علم النجوم ، وأسرار الفلك . فأما كتابه فى النبات فكلامه فيه ، فى عروض كلام أبدى بدوى ، وعلى طباع أفصح عربى . ولقد قيل لى : إن له فى القرآن كتابا ، يبلغ ثلاثة عشر مجلدا » . وقد أثار انتباه الموفق ، أخى المعتمد ، فرعاه . وكان لغويا كبيرا أيضا : ويروى خبر عن ورود المبرد الدينور ، حيث سأله مضيفه عيسى بن ماهان عن معنى كلمة غريبة فى الحديث . وإذا كان المبرد غير متأهب للسؤال ، ارتجل معنى للكلمة ،

وعندما سئل عن شاهد عليها ، انتحل بيتا من الرجز ، ثم أعلن حضور أبي حنيفة وقدم له السؤال . فأكد أن شاهد المبرد منتحل ، وأن للكلمة معنى يختلف كل الاختلاف عما قال المبرد . واضطر المبرد إلى الاعتراف بإصابة أبي حنيفة ، واعتذر بأنه أنف أن يرد من العراق ، وذكره ما قد شاع ، ولا يعرف أول ما يسأل عنه .

وثبت كعبه الذى يرويه ياقوت عن الفهرست متنوع أشد التنوع : إذ تمثل فيه الجغرافية ، والنبات ، والرياضة ، واللغة ، والتاريخ الادبي ، كما يتمثل التاريخ الفعلى . وقد نشر مجلد يدعى أنه كتابه فى الاخبار الطوال ، ويضم تخطيطا للتاريخ العام إلى عهد المعتصم . ويختلف عن الطبرى فى حذفه « الاسانيد » : فيطرد السرد ، مع إقحامه كثيرا من الاشعار .

وأينما ذكر المؤلف رواة ، كانوا الكلبى والهيثم بن عدى . ويسرد التاريخ ، كما قد رأينا ، بأسلوب الروائى ، فيورد الاحاديث الخاصة مطولة ويجعل الاحزاب تتبادل الاشعار : بل تنظم الرسائل شعرا ، فى الحقبه الحرجة عندما كان نصر بن سيار يحاول تخذير مروان الثانى من الخطر الذى يهدده من خراسان . ولا يبين عن كبير مقدرة على النقد: يروى (كما قد رأينا) أن من يسمى الكرمانى بعث إلى عمر بن إبراهيم ، من أبناء أبرهة بن الصباح آخر ملوك حمير ، يسأله نسخة من المعاهدة التى تمت فى الجاهلية بين اليمن وربيعة . فأجاب سؤاله ، وأرسل إليه نسخة من المعاهدة يوردها المؤلف برمتها . وهى مدونة بالعربية الفصحى ، مسجوعة ، وتستهل بعبارة دالة على التوحيد . ولدينا فى نقوش مأرب نص من أبرهة هذا ، وهو مدون باللغة السبئية : ولكن الدينورى لم يخامره أى شك .

وأينما اختلف هذا المؤلف مع الطبرى ، فاحتمل وجوب تفضيل رواية الطبرى عادة . ويجدر بنا ملاحظة أنه عندما روى قيام العباسيين لم يشر إلى تنازل محمد بن الحنفية المفترض ، الذى رأينا لاسباب أخرى أنه غير صحيح . وبرغم ذلك لا يمكن أن تقوم مقارنة حقة بين كتابه وكتاب الطبرى : فمن الواضح أن التاريخ العام الذى لا يشغل غير ٤٠٠ صفحة يقوم على مقياس يختلف كل الاختلاف عن مقياس الكتاب الضخم للرجل الآخر . ويبدو أن القول بأن هذا الكتاب ليس كتاب الاخبار الطوال الوارد فى ثبت الدينورى له وجهته : إذ لا يتفق العنوان مع المحتويات .

{ أحمد بن أبى طاهر طيفور }

وعاصر الطبرى أيضا أحمد بن أبى طاهر ، المتوفى عام ٢٨٠ هـ ، والذى رأى الضوء مجلد واحد يعالج عصر المأمون من كتابه الكبير فى تاريخ بغداد : خلفائها وأمرائها ، وأيامهم . وقد أتهم بالسرقة فى هذا المؤلف ، ولكن من المتعذر إثبات ذلك .

ويسمى أبو هذا الرجل طيفور ، وكان من مرورود . ويقال إنه كان يروى عن عمر بن شبة ، الراوية المشهور . وكان فى مستهل حياته مؤدب كُتَّاب . ويؤكد المؤلف الذى ينقل عنه ياقوت أنه لم ير ممن شهر بمثل ما شهر به من التصنيف للكتب وقول الشعر أكثر تصحيفا منه ، ولا أبلد علما ، ولا ألحن : واشتهر أيضا بسرقة أجزاء من شعر غيره . ويروى خبر لطيف عن حيلة احتال بها هو وصديق للحصول على مساعدة فى وقت اشتدت بهما الازمة فيه . إذ تظاهر

ابن أبي طاهر بالموت ومضى صديقه إلى رجل عظيم يطلب مساعدته في دفنه . فأتى العظيم ليرى الجنة ثم نقر أنفها : فصرط ابن أبي طاهر ، وفسر صديقه الامر بأن هذه بقية من روحه كرهت نكته فخرجت من استه . ويبدو أنه عاش على المدائح: ويدون خبر وهب فيه ١٠٠ دينار لمدحه الوزير الحسن بن مخلد ، الذي يروى عنه التتوخي بعض الاخبار الغريبة . فأرجأ صاحب خزانة الوزير ، وكان اسمه رجاء ، المكافأة ، مدعياً أنه لم يؤمر بشيء . فكتب ابن أبي طاهر بعض أبيات يحث الوزير فيها أن يبادر بالجود ما دام مقتدرا ، فليس في كل حال هو مقتدر : فضاعف له المكافأة . وثبت كتبه التالى عظيم الطول ، وأغلبه تراجم شعراء ومختارات من دواوينهم : ويوجد أيضا بعض المقالات السياسية، ويبدو أن بعضها كان على هيئة الروايات التاريخية ، ذلك اللون الذى ابتدأه اكسينوفون Xenophon في Cyrupaedia . ويصل أحد الاخبار بينه وبين المبرد ، الذى هجاه ، وهاجمه في عنف .

ولا تلقى بقية الاخبار في ترجمة ياقوت لهذا الرجل أية أضواء على ألوان نشاطه الادبي . وتتألف من قطع من أهاجيه للوزراء وغيرهم من مشهورى عصره ، وكل ما نستطيع استنتاجه أنه تسلم مرتبا ما من خزانة الحكومة . وقد شكنا إلى أحد الوزراء عندما تأخر هذا المرتب، وذكر أن مثل هذه الشكوى تكشف افتقاره إلى الكرامة الشخصية ؛ ووعدته إسماعيل بن بلبل ، الذى سمعنا عنه ، المساعدة ، ولكنه لم يمنحه إياها فعلا . ولم يأذن له وزير آخر بالدخول، وواضح أن مرتبه لم يكن من أجل الابحاث التاريخية ، وإنما من أجل شعره ، الذى لم يبق منه غير قطع ذكرها من ترجم له .

{ البلاذرى }

ونال مؤرخ آخر في هذا القرن شهرة مستفيضة بحق ، وهو أحمد بن يحيى البلاذرى ، المتوفى عام ٢٧٩ هـ . وكان رجل بلاط ، يقتبس من المعلومات ما يمنحه الخليفة المتوكل ، وعينه المعتز مريبيا لابنه عبد الله .

وقد أكثر من الرحلة وأبعد بحث وراء المعرفة ، وزار عدة مدن من الشام . ومن شيوخه في بغداد أربعة مشهورون ، هم ابن أبي شيبة ، والقاسم بن سلام أبو عبيد ، مؤلف غريب الحديث ، والمدائني ، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي .

ويقال إنه منسوب إلى البلاذر ، وهو ثم شربه جده ، فسبب له الوسوسة . واحترف إلى جانب أبحاثه في التاريخ فن الهجاء ، وصبه دون شفقة : على الاشراف . ويروى ياقوت خيرا ذا أهمية نقلا عن البلاذرى نفسه . لما أمر المتوكل إبراهيم بن العباس الصولى ، أن يكتب فيما كان أمر به من تأخير الخراج ، حتى يقع في الخامس من حزيران ، ويقع استفتاح الخراج فيه ، كتب في ذلك كتابه المعروف ، وأحسن فيه غاية الاحسان . فدخل عبيد الله بن يحيى على المتوكل فعرفه حضور إبراهيم بن العباس ، وإحضاره الكتاب معه . فأمر بالاذن له فدخل . وأمره بقراءة الكتاب فقراه ، واستحسنه عبيد الله بن يحيى ، وكل من حضر . قال البلاذرى : فدخلني حسد له ، فقلت : فيه خطأ فقال المتوكل : في هذا الكتاب الذى قرأه على بن إبراهيم خطأ ؟ قلت : نعم . قال : يا عبيد الله ، وقفت على ذلك ؟ قال : لا ، والله يا أمير المؤمنين ، ما وقفت فيه على خطأ . فأقبل إبراهيم بن العباس على الكتاب يتدبره ، فلم ير فيه شيئا فقال : يا أمير المؤمنين ، الخطأ لا

يعرى منه الناس . وتدبرت الكتاب خوفا من أن أكون قد أغفلت شيئا وقف عليه أحمد بن يحيى ، فلم أر ما أنكره ، فليعرفنا موضع الخطأ . فقال المتوكل : قل لنا ما هو هذا الخطأ الذى وقفت عليه فى هذا الكتاب ؟ فقلت : هو شىء لا يعرفه إلا على بن يحيى المنجم ، ومحمد بن موسى ، وذلك أنه أرخ الشهر الرومى بالليالى ، وأيام الروم قبل لياليها ، فهى لا تؤرخ بالليالى ، وإنما يؤرخ بالليالى الأشهر العربية ، لأن لياليها قبل أيامها بسبب الاهلة . فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، هذا ما لا علم لى به ، ولا ادعى فيه ما يدعى . قال : فغير تاريخه .

وبين أيدينا كتابان له فى التاريخ . أما « فتوح البلدان » فسجل للفتوح الإسلامية ، ويورد كل فصل منه عادة بعض تفاصيل تاريخ البلد المفتوح بعد فتحه . ويخبرنا أن التفاصيل مجموعة غالبا من علماء كل إقليم : فقد زار الاماكن وتعرف على الافكار الشائعة فيها ، المتعلقة باسم الفاتح ، وطريقة الفتح ، وما تلاه من أحداث مهمة . وتضم هذه التفاصيل غالبا توزع الاقاليم على القبائل ، وانتقال السكان من مكان إلى آخر ، وإنشاء الآثار العامة أو المرافق وإتمامها ، ومصدر الاسماء الخاصة والامور الاخرى التى كان تخليدها مهما . واستخدام ، بالإضافة إلى حصوله على هذه المعلومات المحلية ، التى كانت جديرة بالثقة إلى مدى بعيد ولا شك ، استخدم آثار البحاثة السابقين ، كالواقدى عن طريق محمد بن سعد ، كاتبه ومؤلف الطبقات . وواضح أن بعض الشك يحوم أحيانا حول مسائل لها أهميتها ، وأن قدرا لا بأس به من الخطأ وقع فى التواريخ ، نتيجة الاعتماد على الرواية الشفهية . وبرغم ذلك يجب الاعتراف بأن قدر هذه المآخذ أقل مما كنا نتوقع . وأينما روى البلاذرى روايات مختلفة عن الحوادث الواحدة ، كما هى الحال غالبا ، لم يكن الاختلاف كبيرا عادة . وينطبق ذلك على المواضع التى يورد

فيها روايات مختلفة من المعاهدة الواحدة . فالمعاني واحدة على وجه التقريب ، وإن اختلفت العبارة ، وترتيب الجمل وبعض التفاصيل أحيانا نتيجة لتزوات ذاكرة الرواة .

وذهب آلورد Ahlwardt ، إلى أن مخطوطا في برلين ، هو المجلد الحادى عشر ، من كتاب آخر لهذا المؤلف ، وكان ٤٠ مجلدا في الاصل ، ويقال إنه توجد مجلدات أخرى منه في القسطنطينية . وليس هذا الكتاب ، وهو « أنساب الاشراف » ، تاريخا مطردا ، وإنما مجموعة من الروايات التى تعالج أحداثا خاصة : ويجب أن نستبدل كلمة « فتوح » فى الكتاب الآخر بكلمة « أمور » ، إذ أنها واردة فى عناوين المخطوطات . وأغلب مادة المجلد الحادى عشر الحروب بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك ، والحروب بين خوارج ذلك العصر وخصوم الخلفاء . وقد دون المبرد فى كامله ، وهو كتاب لغوى أكثر منه تاريخى ، قدرا طيبا من المادة نفسها . ويجمع البلاذرى فى هذا المقال الروايات التى شكلها عوانة ، والهيثم ، والكلبى ، وغيرهم : ويذكر الاشعار المتصلة بالمناسبات كثيرا جدا ، ويعترف أو يلاحظ أحيانا أن نسبة الاشعار إلى أصحابها خاطئة ، أو أنها تشير إلى مناسبة أخرى . وقد اعتنى بتاريخ الحوادث ، ولكنه لا يوجد ترتيب مطرد نتيجة لطبيعة منهجه : إذ يرغمه تقسيم التاريخ إلى أحداث منفصلة إلى الرجوع والتقدم فى الزمن . وأهمية الكتاب تقوم على إبانته المرحلة الوسطى بين الرواية المنفصلة عند المدائنى والتاريخ المطرد الذى نجد مثلا له عند الطبرى . ويجمع البلاذرى الاحداث الواقعة فى حقبة واحدة معا ، ولكنه لا يزال يعالجها كأنها وحدات . أما فى كتاب الطبرى فقد اتصلت بالجرحى الرئيسى . وتفقد فى حقبة متأخرة ما هيتها تماما .

{ ابن قتيبة }

ووصل إلينا كثير من كتب مؤلف من هذه الحقبة ، هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الذى استمرت حياته من ٢١٣ - ٢٧٠ هـ . وكان قاضى الدينور ، ويعرف عادة بابن قتيبة . وأشهر كتبه « أدب الكاتب » ، الذى شرحه كثيرون ، وهو رسالة ليرجع إليها كتاب الدواوين . وهى إحدى ثلاث رسائل تقليدية فى الفن المسمى بالأدب ، أما الآخران فيبان الجاحظ وكامل المبرد . ومادتها البراعة النحوية واللغوية : وقد صار الكاتب بعد بضعة قرون فى حاجة إلى معلومات متسعة متنوعة وضمت الرسالة المؤلفة ليرجع إليها عدة مجلدات .

ويسمى أحد كتب ابن قتيبة التاريخية « المعارف » ، وهو موجز من المعلومات التاريخية التى تتألف فى غالبها من القوائم ، والحقائق المتصلة بالنبي ، وجداول الانساب ، وأسماء الفرق وما إلى ذلك . وفائدة الكتاب لا ينازع فيها ، ولكن قلما يستطيع تسميته تاريخاً . ويختلف كتاب آخر يعزى إليه عن الكتاب السابق كل الاختلاف فى ظواهره . ذلك هو كتاب « الامامة والسياسة » ، وهو تاريخ للدولة الإسلامية منذ وفاة النبي إلى وفاة هارون الرشيد . وبالرغم من ذلك فتزييفه التاريخ أو جهله به من الواضح بحيث لا يمكن أن يكون لابن قتيبة . فهو يجعل من السفاح والخليفة العباسى الأول أبا العباس شخصين مختلفين : ويفترض أن هارون الرشيد الخلف المباشر للمهدى ، الذى يقول إن ابنه عبد الله دس له السم . ولا يعرف له ابن بهذا الاسم . ويبدو أن المؤلف يكشف عن عناية خاصة بشئون اسبانيا ، التى لا يعرف عنها اكثر مما يعرف الكتاب الشرقيون عادة ، وأنه من أتباع الإمام مالك الذى يصوره منتصراً على أتباع أبى حنيفة فى إحدى المناقشات . فلعلة

أذن قصاص أندلسى . ولما كانت وفاة هارون الرشيد لا تعلم حقبة في التاريخ الإسلامي ، فان انتهاء كتابه بما ربما أفاد دليلا على تاريخه . ويبدو أنه لا يشير إلى أى حادث ، بعدها : والطريقة التي يعالج بها أيام هارون وقصة بنى برمك لا تختلف عن طريقة الطبرى : وواضح أن هالة الروائية أحاطت بهذه العائلة بعد نكبتها بوقت قصير تماما : بل وقع ذلك في منتصف القرن الثالث. فلعلنا إذن لا نبعد كثيرا عن الصواب حين نعد هذا الكتاب من نتاج القرن الثالث .

وهذا الكتاب من أعظم التواريخ العربية جاذبية في سهولة الاسلوب وجماله: بل إن مؤلفه أكثر من أبى حنيفة اصطباغا بالصبغة الروائية ، ويدعى إيراد الرسائل المتبادلة بين المشهورين الذين يروى أخبارهم ، وإيراد خطبهم ومحادثاتهم . وقلما يحبى رواياته بالاستشهاد بالشعر. ولعله كان يرى أن فهمه في جعل القصة جذابة أكثر احتمالا للنجاح . وهو متعصب لعلى شأن كثير من المؤرخين ، قليل العطف على معاوية وخلفائه أو الاعجاب بهم : والحق إن علينا أن نرجع إلى فتوح البلاذرى لنقدر خدماتهم للإسلام : إذ يمر الطبرى وغيره على جهود الخلفاء في التنظيم والإدارة دون كبير عناية . ومن اليسير أن نعتذر لكتاب الامامة عن هذا الامر ، إذ أوضح أن موضوعه ليس التوسع الإسلامى ولا التنظيم الداخلى وإنما الطريقة التي حصل بها على الإمامة أو طولب بها : وإذ كانت الاحداث التالية لمقتل عثمان ذات الاهمية المطلقة في تقرير هذا الامر ، فالمؤلف على حق حين يعالجها في إطناب ينفى جميع الالوان الاخرى من التأريخ . والاستثناء الرئيسى الذى عقده هذا المؤلف هو استثناء غزو المغرب واسبانيا ، اللتين فتحتا في أيام أبناء عبد الملك ، وكان بطل الغزو موسى بن نصير ، الذى لقيت خدماته كفرانا ونكرانا عظيمين من الخليفة سليمان . وتمثل في الكتاب بعض المواد الجغرافية التي تقابلنا في التواريخ

المتأخرة لهذه الفتوح ، وإن بدا أنه يلتزم الحقائق في هذه الاحداث . وقلما يذكر الرواة الذين استقى منهم أقواله : وجدير بالملاحظة أنه يقتبس من الهيثم بن عدى قائلا « وذكروا أن الهيثم بن عدى أخبرهم » ، مما يوحى بأن المؤلف عرف آثار هذا الجماعة عن طريق الرواية الشفوية لا النسخ . وحين يورد رسائل تكون عبارته « ذكروا » أن الرسالة التالية بعثها شخص إلى آخر ، و « ذكروا » أن الأخير ارسل الجواب التالى . ونجد ، كما قد رأينا ، كتابا آخرين يوردون الرسائل المدونة في بعض المناسبات ، ولا تتفق هذه الرسائل إلا على المدى الذى توجبه الظروف التى يقال إنها دونت فيها . وتحمى مثل هذه الوثائق ، والخطب ، والمحادثات ، كما هى واردة عندهم ، التاريخ وتجعله حيا ولكنها بطبيعة الحال ليست مصدرا للمعرفة . وهناك بعض الحقائق المستفيضة الشهرة وذات الاهمية الكبرى التى لا تززع : الاضطرابات التى واجهت عليا حين بويغ خليفة ، وأدت إلى ظهور قوة الامويين : انتقال مركز الحكومة من المدينة إلى العراق وإلى دمشق : ربما قلنا إن كل إنسان عرف أن النبى هاجر إلى المدينة واتخذها عاصمة لامبراطورية يرغب في معرفة كيف نقلت عاصمة الإسلام إلى موضع آخر ، وكيف استطاعت الاسرة التى ناصبت محمدا أشد العداة أن تتوارث خلافته . ويستطيع راوى هذه الاحداث ، إذا شاء ، أن يحميها بجعل الفرق تتحدث وتتراسل إذا ما كانت متباعدة: ولكن المحادثات والرسائل كانت مستنبطة من الحقائق ، لا العكس . ولما كان المؤرخون المختلفون يعزون الوثيقة الواحدة إلى رجال مختلفين ، كما قد رأينا ، فمن المحتمل أن الاشخاص الثانويين ، الذين يظهرون في تلك الاخبار سعاة ، أو أصدقاء يستشارون ، أو موظفين في مراكز ثانوية ، إنما ذكروا في أغلب الاحيان تخمينا ، وإن وجدت أحيانا لدى الاسر القديمة أخبار ماثورة بأن أحد الاجداد اشترك في أحد هذه الاحداث المهمة .

وقد عصر المؤلف خياله في إيراد المجادلات الطويلة التي يشترك فيها كثيرون، كما حدث عندما اقترح معاوية إعلان يزيد خليفة بعده وطلب البيعة له . فهناك مجموعة كاملة من الخطب ، معظمها في جانبه ، وبعضها يعارض الاقتراح : ثم ذهب معاوية إلى المدينة ليعلن اقتراحه فيها وتكررت محادثاته مع الزعماء ، إذ يزور عائشة، التي كان خطابها له من الفصاحة بحيث خاف أن يجيها كيلا يكشف عن ضعف موقفه .

وإن كان الكتاب الذي أماننا كله من قلم واحد ، لم يكن من المستطاع تبرئة المؤلف من قمة الإهمال . فهو يذكر في ختام المجلد الأول وصفا مطولا لواقعة الحرة، رفض أهل المدينة مبايعة يزيد بعد موت معاوية ، وإرسال مسلم بن عقبة لاختصاصها ، مع مختارات من الفظائع التي ارتكبت في الأيام الثلاثة التي استبيحت المدينة فيها . ولكننا حين ننتقل إلى المجلد الثاني نجد المؤلف فيها يبدو قد نسى كل هذه القصة المخيفة الطويلة ، ويورد تخطيطا آخر للأحداث نفسها دون أية إشارة على أنه روى هذه الأخبار كلها قبل . ولا يدهشنا مثل هذا العمل كثيرا في الحالات التي ينقل فيها مؤلف فقرات من مؤلف سابق ، دون أن يعبر بمحتوياتها كبير عناية : ولكنها مذهلة فيما هو مقصود به أن يكون أثرا فنيا قصدا واضحا .

وعلى الرغم من توقعنا أن مؤرخا يكتب في ظل العباسيين كابن قتيبة الحقيقي يتعصب على الأمويين ولا يكثر من الإشادة بهم ، فإن هذا المؤلف لا يمكن اتهامه بالهوى المفرط من هذا الجانب ، بل هو شديد الإعجاب بأميرين أمويين ، عمر بن عبد العزيز ، الذي يستثنيه حتى مؤلفو الشيعة مما يرمى به الأمويون عامة ، إذ كان زاهدا ومعجبا بعلي ، ويروي المؤلف عنه بعض المعجزات الساذجة . ولكنه أشد حماسة في مدحه هشام بن عبد الملك ، الذي يعتبر أيامه أوج الخلافة : فقد جبي

الخراج من جميع أنحاء العالم ، وأوجد حقبة من الامن والرخاء لم يعرف مثلها من قبل ، بمدونه وصرامته في الحق ، واستعداده الاصغاء إلى المطالب، والتنظيم الدقيق الذى جعله عارفا بكل ما يدور في جميع أرجاء الخلافة. وكان هذان الإمامان وفقا لقول المؤلف شديدى الاختلاف في الشخصية على الرغم من نجاحهما حكاما : فكان عمر من الحرص على استعمال الاموال العامة بحيث جعل أفراد عائلته يلبسون المرقعات: وكان هشام من الاسراف بحيث لم يترك في خزائنه بعد موته ما يغطى نفقات جنازته . وسواء كانت الصور التى يرسمها المؤلف صادقة أو كاذبة ، فإن أوصافه للخلفاء المستقلين تترك تأثيرا واضحا وحيا ، لا يمكن الحصول على مثله من رواية الطبرى الجافة .

{ اليعقوبى }

أما الكاتب المعروف باليعقوبى ، أحمد بن إسحاق بن جعفر، فمؤرخ على نطاق ضيق ، ولكن أعظم جدا. وليس لدى ياقوت غير أسطر قلائل عنه ، ذكر فيها ملاحظة وردت في كتاب تاريخى لمحمد بن يوسف الكندى، نصت على أنه توفى عام ٢٨٤ هـ . وهو من أسرة كتاب ، وقد أكثر من الرحلة وأبعد، وألف كتابا في الجغرافية ضمه دى غويه De Goye إلى مكتبة الجغرافيه . ويتبع كتابه التاريخى خطة لا بد أنها احتاجت إلى قسط طيب من البحث لتحقيقها . فيورد تفاصيل فلكية في مبدأ كل عهد ، ليستطيع الخبراء أن يروا كيف تبع مجرى الاحداث أحوال الكواكب في بزوغها . ويسجل في ختام كل عهد أسماء الرجال الذين كان لهم أعظم النفوذ مع الخلفاء ، وأمراء الحج في كل سنة، وقواد الحملات ، والقضاة المشهورين . وقلما يذكر مؤرخين قدماء في حقبة الخلافة؛ وكلما اقترب من عصره ذكر من حين لآخر أشخاصا استقى منهم المعلومات. ومعلوماته عن العهد الذى

عاش فيه غاية في الاخلال، وقاصرة على الهيكل المجرد ؛ ولكنه أكثر علما بالعهدين الاموى والعباسى الاول . ويورد قدرا كبيرا من الرسائل والخطب ، التى دون بعضها غيره من المؤرخين ؛ ويصف الخطب أحيانا بالشهرة . والمرجح أن هذا الصنف تاريخى . وهو عظيم الاعجاب بعلى وعميق الاهتمام بالأئمة من أبنائه ؛ ويفرد صفحات كثيرة للحكم والمواعظ المنسوبة إليهم . ولما كان يصف مذهب المعتزلة بالتوحيد ، فقد نستنتج أن هواه كان مع تلك الفرقة . إذ إن ذلك هو اللقب الذى أطلقوه على أنفسهم . ويبدو أنه لم يشاركهم الشك المرتبط بمذهبهم ، حيث يسجل وقوع كثير من المعجزات . وواضح أن عنايته بالاخلاق كبيرة . فيورد نصائح الخليفة المنصور لابنه عند موته برمتها ، وهى نصائح بالتقوى والورع والخير ، وإن بدا هذا الخليفة من تاريخه من أعظم الخلفاء الذين تولوا الحكم إغفالا للحق .

ومن المستطاع الرجوع إلى معلوماته بين حين لآخر لتكملة أقوال الطبرى ، ولكنها من القلة بحيث لا تقدم خدمة كبيرة من هذا الجانب . ومن المستطاع اعتبار تاريخه موجزا جادا فى التاريخ الوطنى مدونا للطلبة ، الذين ليس لديهم الوقت أو الرغبة لمتابعة الدراسة فى عمق شديد . ويشبه ترتيبه المادة طبقا للعهود - بخلاف ترتيب الطبرى على السنين - الترتيب المتبع فى الكتب الحديثة ذات الطبيعة المشابهة . ويجعل النطاق المحدد الذى منحه لنفسه وصفه للحوادث غامضا ، إذ قلما يتسع المجال أمامه لتفسير عالمها ، ولم يكن لديه البراعة العظيمة فى اختيار تلك الاعمال الكبيرة للدلالة على الشخصية فى رواياته .

وعلى الرغم من أن الطبرى أدى لنا خدمة نبيلة بجمع الروايات التى ألفها أسلافه وترتيبها على السنين ، ومحاوله الوصول بالتاريخ إلى عصره ، لا يسد كتابه

تماما الحاجة إلى الوثائق الرسمية والمعاصرة في الحقبة السابقة . وعثّل لذلك بقصة قيام العباسيين . يروى لنا الطبرى كيف انتقلت المطالبة بالخلافة من الحسين بعد وفاته إلى محمد بن الحنفية، الذى نقلها إلى مجموعة الراغبين فيها ، الذين نجح السفاح أخيرا من بينهم . ولكنه يدعى أيضا إيراد رسالة الدعاية التى دافع المنصور فيها عن حقه : وليس فى هذه الرسالة شىء عن ابن الحنفية : وإنما يطالب المنصور بالخلافة على أساس أنه من يمثل عم النبو المؤمن ، وتلك هى المناقشة التى لم يملّ ما دحو العباسيين إيرادها البتة . ومع ذلك فمؤكد أن المنصور كان فى مناقشاته مع أبناء على يصير مالكا لسلاح قوى بانتقال الدعوى من على إلى ابن الحنفية ومن هذا إلى أحد العباسيين . ويبدو إذن أن احتمال أن هذه النظرية عن انتقال الدعوى إنما ظهرت بعد مجادلات المنصور ببعض الوقت ، ردا على العلويين، الذين كانوا دائمي المطالبة بالخلافة . ولم يتنبه الطبرى إلى التناقض فى هذه الحالة وبعض الحالات الأخرى ، على حين كان المتوقع أن يلاحظه بحكم مرانته فى القضاء .

